النميمة والسعاية (*)

قلنا في مقالة سابقة » ان التهذيب روح للوجود الطبيعي والمدني والسياسي تنال به هذه الوجودات سعادة الحياة وحياة السعادة» وقد يخفى على كثير من القراء وجه الارتباط بين التهذيب وبين حياة هذه الوجودات وسعادتها وان كنا أثبتناها في تلك المقالة بالبرهان .ونحن نشرح لهم الآن حال خلة واحدة من الخلال المذمومة وتأثيرها في افساد المجتمع الانساني وصدها عن المدنية الصحيحة التي هي سعادة الامم وهي النميمة والسعاية فنقول

النميمة كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول له أو غيرهما واذا كان الكشف الى من يخشى جانبه سمي سعاية

اتفقت التعاليم الدينية والعقول البشرية على ان هذه الخلة الذميمة احدى الكبر لا تذر شملاً الا فرقته،ولا جمعاً الا شتته،وأنها مولدة الفتن، ومقطعة الروابط الاجتماعية، تدع الانسان يفر من أخيه،وأمه وأبيه،وصاحبته وبنيه، وتقلب الحقائق فتجعل المحسن مسيئاً، والصديق عدواً،وتسم الامين بسمة الخائن،وتبرز النافع في صورة الضار،وتلبس الاصلاح ثوب الافساد، وتقيم من الفضائل تمثالا للرذائل ، فهي من أدواء الامراض الروحية التي تعرض في الامم فتفسد نظامها،وتمزق نسيج التئامها،وتقوض هيكل عمرانها هذه الرذيلة تبنى على ثلاث رذائل من أثافي الذل « كما قال بعض الفضلاء »

«١» الكذب الذي هو شر الشرور، ومفجر طوفان الفجور، ورافع الثقة

(*) فاتحة العدد الرابع عشر الذي صدر في ٢ صفر سنة ١٣٠٠

من بين الجمهور ومقرب البعيد بعد القريب، وطامس أعلام الحق، ودارس منار الحق، ومقرر أصول الجهالة، آفة التجارة والكسب وسائر المعاملات، محال العقود، وناكث العهود، فلا يتم له نظام، ولا يأتي معه التئام

« ٢ » الحسد الذي يقطع صلات الارحام، ويزعزع أركان النظام، ويعشي عين البصر والبصيرة، فيبصر الحق باطلاً، وتشاهد المعالي عاطلاً، يحول دون التعاون والتناصر، والتكاتف والتعاضد، ويبث عل التخاذل والتدابر، ويحمل ذويه على ان ينسوا الناس أشياءهم، ويثير في الارض مفسدين، فهو عدو المدنية الاول، وخصمها اليلد

(٣) النفاق الذي يفسد الطباع، ويغير الاوضاع، وينهب بهاء المحمدة المحققة من الوجوه، بما يمنح من الالقاب الجليلة، والنعوت الجميلة، لاصحاب مظاهر التفخفخة الكاذبة، والنفخة الباطلة، يختلس أجور العاملين فيهبها للكسالى من أهل البطالة، وينتهب ثمرات زراع المنافع فيغذي بها العاثين من ذوي المطامع، فهو بما يحبط من العمل، مدعاة للبطالة والكسل، ومفسد لنظام الانسان، ومقوض لدعائم العمران

رذيلة واحدة من هذه الرذائل الثلاث كافية لإشقاء أمة تلبس بها أفرادها فكيف بها اذا اجتمعت؟ وانما تجتمع مع السعاية والنميمة حمانا الله تعالى منها ان أقبح الوشاية أثراً، وأشدها ضرراً، هو ما يسمونه بالحمل والسعاية وهو ما يقتات المذاعون[1] وينشونه للامراء والسلاطين، عن أحوال العمال ونحوهم من خدمة الدولة والامة

(١) الفت النميمة والمذاع الكذاب ومن لا وفاء له ولا يحفظ أحدا بالغيب ومن لا يكتم السر والذي يدور ولا يثبت

هذا النوع من الوشاية لا يتجرأ عليه الا الخائنون لسلطانهم، العاملون على خراب أوطانهم.

مثلُ السعاة والمحالين في الامة مثل الدود الخبيث الذي يدب في الزرع فيهلك الحرث ويحول بين العاملين وبين ثمرات أعمالهم بل يحرم الامة كلها من الانتفاع بابنائها العاملين. وان شئت قلت مثلهم كمثل ميكروبات الاوبئة والادواء تفسد نظام البنية الانسانية الشريفة من حيث لا يرى دبيبها، وتفتك بالاجسام، ولا تنال منها عوامل الانتقام، «يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون مالا يرضى من القول وكان الله بكل شيء محيطا»

رُب صاحب عزيمة، وطريقة قويمة، ينهض لخدمة دولته، ويسعى في منفعة أمته، يتجشم المصاعب، ويتحمل المتاعب، لكنه لا يكاد يخطو الا بعض خطوات، حتى يتصدى له السعاة المحالون فيقيمون في بعض طريقه العقاب والتضاريس، ويلقون فيه الشوك والحسك، ويخدّون في بعضه الاخاديد، ويحفرون المواثير، فإما ان تصد السالك عن المضي في سبيله العقاب التي تساوره، والصعاب التي تدافعه، فتنحل عزيمته، وتنفصم عرى اقدامه، فينكص على عقبيه، ويرتد الى وراءه، فيسرح في مسارح الكسالى، ويرتع في مراتع محبي الراحة والخمول، حيث مرعى النفاق خصب مريع، ومورد الموعذب نمير. واما ان يتردى في إحدى المواثير ويتدهور في بعض الهُوى والاخاديد، فيندق عنقه، وتفيض روحه، ويلتحق بشهداء الحق الذين قضوا نحبهم تصبراً، وما قضوا من نجاح أوطانهم وطراً، وذهبوا بما كانت تنتظر أممهم من قوامهم الفائقة، وعزائمهم الصادقة

يا سبحان الله! ماذا يسهل على نفوس بعض البشر حمل هاتيك الاوزار، ويدفع بها الى الاستهانة بتلك الاخطار، ؟ يفتك قاطع الطريق برجل ليبتز ماله ويتعدى اللصوص على بيوت الناس ليسرقوا متاعهم فيتبلغوا به في معيشتهم، او يعدوا به اديم بروتهم، فضرات هؤلاء محصورة، ومثارانتها معقولة، وهي لاتمس المصالح العامة التي هي مناط سعادة الامم وبها قوام مدنيتهم. لكن الوشاة والسعاة ينسفون منافع امهم من حيث لا يعود نفع على نفوسهم الخبيثة الا مايشفون به غيظهم، ويبتردون من أوار حسدهم. فتبا لمن يبيع أمته وملته بهذا الثمن الخسيس

ربما يتوقع بعض هؤلاء الاشرار جائزة على سعايته فيلتحق بصنف اللصوص وقطاع الطرق لا كله أموال الناس بالباطل ويمتاز عنهم في الشر بتلك الصفة الشيطانية وهي تقطيع الروابط العامة والصد عن سبيل الحق. أكرر القول بأن الناهبين والسارقين تختص جنايتهم بالافراد، والسعاة تتعلق مضرتهم بالامم والشعوب، فويل لكل هماز مشاء بنميم، مناع للخير معتد أثيم،

ربما تغش الماحل نفسه الخبيثة بانه ناصح لسلطانه خادم لوطنه لانه يرى بعقلته العشواء ان عمل العامل الذي دبت عليه عقارب سعايته مضر في الامة فهو يسعى في ازالة الضرر، وفرق عظيم مابين النصيحة، والمحل والنميمة، والحلال بين والحرام بين، لو كان صادقا في زعمه لألقى بنصيحته أولا للعامل وبين له مضرة عمله، وانذره عقبته اذا هو لم يقلع عنه، فان وضح الامر، وأصر الآخر على باطله من غير عذر، يرفع أمره للحاكم علنا ويحكم فيه الشريعة على رءوس الاشهاد

هذه حجة ناهضة يتجلى نصوعها على كماله بالنسبة للناهضين بالاعمال المفيدة لامتهم على مرأى من الناس ومسمع وعلى أكمله بالاضافة للذين يرفعون منار الحق بنشر المعارف النافعة في الكتب أو الجرائد لاسيما اذا صرح أربابها كما صرحنا في فاتحة جريدتنا هذه بقولنا « وتقبل الانتقاد الادبي من كل أحد وتقابل عليه بالثناء والشكر، وتذعن للحق كيفما طلع بدره، ومن أين انبلج فجره، وتلتقف الحكمة من حيث أتت، وتأخذها أينما وجدت » أمثال هؤلاء لا يمكن أن يكابر نفسه من يحمل بهم الى الحكام بأنه ناصح بمحاولته ابطال باطلهم (على زعمه) لان الباطل لا يمحوه الا احقاق الحق وأما الضغط فانه يوجب الانفجار، والمقاومة يترتب عليها الاشتهار،

الانسان عرضة للخطأ والخطل، ولا يكاد يخلو عمل من خلل، تشهد بذلك كتب المؤلفين، وأعمال المتقدمين والمتأخرين « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً » يخطئ قوم فيصلح خطأهم آخرون وبذلك تتجلى الحقائق وتتمحص العلوم حتى تبلغ كمالها، ولا يزال الحق والباطل في مجادلة ومجالدة حتى يغلب أحدهما الآخر، لكن الحق يعلو وان عمي عنه الاسفلون، « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون »

نعم يوجد في بعض الامم والدول جمعيات سرية تسعى في الاخلال بالنظام، وتهدد الامن العام، كالفوضويين في أوروبا والعدميين (النهليست) في خصوص روسيا وبعض الارمن في بلاد الدولة العلية، فمن يكايد أمثال هؤلاء ويحمل بهم الى الحاكمين فهو ناصح للدولة والامة مع مراعاة الصدق والوقوف عند حدود العدالة . وهناك أمور أخرى تشتبه على

بعض الناس فيها النصيحة بالنميمة والسعاية ومن صدق في طلب الحق لا يزج نفسه في أمر خطير من غير بينة فيه « الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه » — الى آخر الحديث الشريف

هذا بعض من كل في بيان مخازي النميمة (السعاية) ومفاسدها ولو استقصينا ما ورد في ذلك من الآيات والاخبار، وشرحنا ما يحتف به من الآثام والاوزار، لأدى بنا ذلك الى التطويل، ولعل ما ذكرناه كاف في التنفير والترهيب، وما يتذكر الا من ينيب

آثار في السعاية

جاء رجل الى علي كرم الله تعالى وجهه يسعى اليه برجل آخر فقال له الامام «يا هذا ان كنت صادقاً مقتناك، وان كنت كاذباً عاقبناك، وان شئت ان نقيلك أقلناك» قال أقلني يا أمير المؤمنين

ذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال « ما ظنكم بقوم يحمد الصدق من كل طبقة من الناس الا منهم »

قال مصعب بن الزبير : نحن نرى قبول السعاية شراً من السعاية، لان السعاية دلالة، والقبول اجازة، وليس من دل على شيء فأخبر به كمن قبله واجازه، فاتقوا الساعي فلو كان في قوله صادقاً، كان في صدقه لئيماً، حيث لم يحفظ الحرمة، ولم يستر العورة